العَلْمَانِيَّةُ

فَسَادٌ وإِلْحَادٌ

أمريكا

بِقَلَم:

أبي جُوَيْرِيَة الشَّامِي

العَلْمَانِيَّةُ

فَسَادٌ وإِلْحَادٌ

بِقَلَم:

أبي جُوَيْرِيَةَ الشَّامِي

1437 هـ | 2016 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وكفى، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن بأثره اقتفى، **أمَّا بعد:**

نشأة العلمانية:

بعد الصِّراع الذي نشب على أشدِّه بين ما يقال لهم بابوات روما وبابوات أفنيغون في جنوب فرنسا، وقد كان الصراع دينيًّا دنيويًّا، فحينها قد لَمَّح للفكر العلماني مارسيل البدواني في مؤلفه (المدافع عن السلام)، ودعا به إلى فصل السُّلطتين الزمنية والروحية واستقلال الملك عن الكنيسة، وبعدها كتب الفيلسوف غيوم الأوكامي عن أهمية فصل الزمني عن الروحي، وأن كل منهما يتقيد بمضمار خاص، فإن الإيمان والعقل ليس لهما أي شيء مشترك، وعليهما أن يحترما استقلالهما الداخلي بشكل متبادل.

كل فيلسوف أمريكي أوربي كتب في هذا النحو ما يعتقده أنه هو الدين الصحيح الذي يتناسب مع أشكال الاعتقاد والفكر والاجتماع.

وأول من ابتدع مصطلح العلمانية هو الكاتب البريطاني جورج هوليوك عام 1851 م، غير أنه لم يقم بصياغة عقائد معينة على العقائد التي كانت قد انتشرت ومنذ عصر التنوير في أوروبا، بل اكتفى فقط بتوصيف ما كان الفلاسفة قد صاغوه سابقًا وتخيله هوليوك، من نظام اجتماعي منفصل عن الدين غير أنه لا يقف ضده إذ صرح: "لا يمكن أن تفهم العلمانية بأنها ضد المسيحية، هي فقط مستقلة عنها؛ ولا تقوم بفرض مبادئها وقيودها على من لا يود أن يلتزم بها، المعرفة العلمانية تهتم بهذه الحياة، وتسعى للتطور والرفاه في هذه الحياة، وتختبر نتائجها في هذه الحياة"[1].

وعلى هذا فإنَّ العلمانية غير الدينية هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات غير الدينية في الحكم.

(1) العلمانية (بالإنجليزية)، الموسوعة الكاثوليكية، 28 نيسان 2011 م. **ينظر**: (الموسوعة الحرة/ ويكيبيديا).

اتّجاه العلمانية نحو الديار الإسلامية:

وإن أول ما اتجهت إليه العلمانية من الديار الإسلامية هي أرض الكنانة أرض مصر الحبيبة، فدخلت بحملة نابليون بونابرت، وأدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي، وكان هذا مفتونًا بالغرب وكان أمله الأوحد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، ومن هنا بدأ الفكر العلماني الخبيث ينتشر في كل الديار الإسلامية، فدخل الهند عندما كانت تحكم بالإسلام حتى بلغ الأمر في التدرج بإلغاء أحكام الشريعة وعدولهم إلى القوانين العلمانية، وكذلك الجزائر وتونس والمغرب تم إلغاء الأحكام الشرعية بعد احتلال الفرنسي لهذه البلدان وأُدْخِل القانون الفرنسي العلماني، ومع هذا فإن القانون الفرنسي الذي أدخل على البلدان من عام 1906 م لم يتغير في تلك البلاد كالمغرب وتونس والجزائر وقد تم تغييره عدة مرات في فرنسا، وهذا يدل على أن ما وضعه أجدادهم لم يناسب أحفادهم، والعجيب أنه كيف ناسب العرب ولم ينهضوا لإزالته وتحكيم الشريعة الربانية.

وقد لبست تركيا ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة -على ما فيها-، واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك الخبيث، وقد كتبت مقالًا -(الدولة التركية الأتاتركية)- يوضح خبثه وكيف دخل الفكر العلماني إلى الأراضي العثمانية بسببه، وأنه هو الذي دعى وسعى بهدم الخلافة الإسلامية.

وقد اشتهر دعاة العلمانية في البلاد العربية منهم: طه حسين، أنور السادات، جمال عبد الناصر، ومشيل عفلق، وغيرهم كثير -قاتلهم الله-.

ومن اعتقاداتهم الباطلة العفنة التي هي مصدر نخامة عقولهم وزبالة أفكارهم:

- أن بعضهم ينكر وجود الله تعالى.
- عدم وجود أي علاقة بين الله وحياة الإنسان.
- الحياة تقوم على أساس العلم المطلق.
- فصل الدين عن السياسة وتطبيق الحياة على أساس مادي.
- تطبيق مبدأ النفعية على كل شيء في الحياة.

- نشر الفضيحة والرذيلة والإباحة في المجتمع الإسلامي لتهديم الأسر وإخراجها عن تعاليم الإسلام.

وبعد دخول العلمانية إلى الديار الإسلامية انقلب الحال رأسًا على عقب، فتشكلت الأحزاب العلمانية المرتدة التي ما فتئت تسعى لإخفاء وطمس معالم الإسلام وتحجيم الدين الحنيف وتخصيصه بالصلاة والمسجد، وهذا لا شك أنه طعن في الإسلام وبمحمد ﷺ، وغير ما تقيأ به كبارهم أن الإسلام رجعي لا يصلح لهذا الزمان وأنه ظالم للمرأة، ويدعون لتحريرها على سبيل الغرب.

وإن اليهود إخوان القرود لهم الثقل الأكبر في ترسيخ العلمانية وطمس معالم الدين ونوره، ولكن: ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: 32]، وعلى هذا، فإن العلمانية بزعمهم جاءت لإحياء الناس، وأن يتحرروا من القيود على أسس زبالة عقولهم بعيدًا عن الدين الحنيف الذي جاء به خير الناس محمد ﷺ.

وبعد ما تقدم يظهر لنا أن العلمانية مصدر زبالة العقول ونخامة الأفكار جعلوها قوانين ومنهاج حياة تسير عليه الدول والأحزاب، فوضعوا القوانين وعدلوا عن شريعة رب العالمين الذي فيها الحياة السعيدة والنقاء لا حياة العلمنة ذات الشقاء، فالدول العلمانية والأحزاب يتحاكمون إلى قوانين وضعية كفرية ما أنزل الله بها من سلطان، فكفر بذلك وارتد عن دين الله تعالى من سلك العلمانية ودخل في أحزابها.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: 44]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الشورى: 21]، وقوله ﷻ: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 40].

وقال سبحانه: ﴿**وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 26]، وقال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50].

قال ابن كثير ﵀: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع له الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى: من اليهودية والنصرانية والإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحمم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل أو كثير"(2).

قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: 2].

قال ابن القيم ﵀: "فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها إليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم"(3).

وقال الشيخ أحمد شاكر ﵀: "هذه القوانين التي فرضها أعداء الإسلام على المسلمين هي في حقيقتها دين آخر جعلوه دينا للمسلمين بدلًا من دينهم السامي".

قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65].

قال الإمام القيم ابن القيم ﵀: "أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرَّده حتى ينتفي عن

(2) التفسير (2/ 86).
(3) إعلام الموقعين (1/ 44).

صدورهم الحرجُ والضِّيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضًا بذلك حتى يسلموا تسليمًا، وينقادوا انقيادًا"[4].

قال ابن حزم رحمه الله: "لا خلاف بين اثنين من المسلمين... أن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأتِ بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام"[5].

وقال ابن القيم رحمه الله: "قالوا: وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأنَّ دين الإسلام نسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنَّه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام"[6].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله وطيب ثراه-: "نُسَخُ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدَّلة والمنسوخة فهو كافر"[7].

وقال ابن كثير رحمه الله: "من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين"[8].

فانظر -رحمني الله وإياك- كيف نصَّ الفقهاء على كفر من عدل عن القرآن وتحكيمه واتباع الإنجيل والتوراة مع أنهما منزَّلين على الرسل، ولكن الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ نسخت كل الشرائع؛ فقد جاءَ عمرُ بجوامِعَ منَ التَّوراةِ، فقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي**

(4) إعلام الموقعين (1/ 43).
(5) الإحكام في أصول الأحكام (5/ 137).
(6) أحكام أهل الذمة (1/ 259).
(7) مجموع فتاوى (35/ 200).
(8) البداية والنهاية (13/ 119).

لَضَلَلْتُمْ»[9]، وفي رواية: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[10]، فالذي يتبع العلمانية والديمقراطية والليبرالية وغيرها من المناهج الكفرية أولى أن يكفر وأن يضلَّ ضلالًا بعيدًا.

والعلمانية اليوم هي نوع من أنواع الطاغوت، وأنواع الطاغوت مختلفة، فقد يكون صنمًا أو حجرًا أو شجرًا أو كوكبًا أو ميتًا أو حيًّا يعبد من دون الله، وقد أمرنا الله تعالى بالكفر بالطاغوت ومعاداته والتحذير منه.

قال ﷻ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: 60].

وقال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [النحل: 36]، وقال ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾ [الزمر: 17].

قال سبحانه: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 256].

فالطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى وقد أوجز ابن القيم ﷺ في تعريفه بالطاغوت فقال: "والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا

(9) أخرجه أحمد (25/ 198) برقم 15864، والدارمي (1/ 126) برقم 435. **ينظر**: روضة المحدثين (7/ 389) برقم 3164.
(10) أخرجه أحمد (3/ 387) برقم 15195.

يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأمَّلتها وتأمَّلت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطواغبت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته"[11].

فإن كان ابن القيم في زمنه رحمه الله يقول انظر إلى طواغيت العالم؛ فكيف لو كان حيًّا بيننا ما كان عليه أن يقول؟!

إن الله تعالى أخبر أنه أرسل رسله بالتوحيد السامي، وهي دعوة كل رسول مع اجتناب كل طاغوت على سائر أنواعه، والله تعالى قد قدَّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، قال سلمان بن سحمان رحمه الله: "فبين الله تعالى أن المستمسك بالعروة الوثقى هو الذي يكفر بالطاغوت، وقدَّم الكفر به على الإيمان بالله، لأنه قد يدَّعي المدَّعي أنه يؤمن بالله وهو لا يجتنب الطاغوت وتكون دعواه كاذبة"[12].

والعلمانية فتنة يفتن بها الناس عن دينهم، وقد أمر الله تعالى بقتال هؤلاء القوم الذين يتخذون غير الإسلام -كالعلمانية- منهاجًا وسلوكًا وحزبًا ودولة؛ فقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: 193]، وقال عز وجل: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: 39].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن لم يكن الدين كله لله تكون فتنة"[13].

فالفتنة في ذلك هو الكفر أو الشرك قاله ابن عباس رضي الله عنه، ومع هذا فهي أكبر من القتل لقوله تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة: 191].

---

(11) إعلام الموقعين (1/ 42، 43).

(12) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (10/ 502).

(13) منهاج السنة النبوية (5/ 255).

قال ابن سحمان رحمه الله: "فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتًا، يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث الله بها رسوله ﷺ"(14).

وفي ذلك ظلم ولا يحصل به لا أمن ولا أمان، قال جل جلاله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: 82].

فالظلم في هذه الآية الشرك وهذا ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: 13].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة"(15).

عن عبد الله رضي الله عنه قال: "لَمَّا نَزَلَتْ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأنعام: 82]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، ﴿**لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾"(16).

فالعلمانية مصدر خوف ورعب لا مصدر أمن وأمان، وعلى قدر الإيمان يكون الأمان، فمن فَقَدَ الإيمان المطلق فَقَدَ الأمان المطلق، ومن معه مطلق الإيمان كان معه مطلق الأمان، وقس على هذا.

وأما الذي يكون جنديًّا بها أو عريفًا فحكمه الكفر الخارج من الملة ولو قال لا إله إلا الله، لأن العلمانية هي نقيض لكلمة التوحيد، ومضمون كلمة التوحيد الكفر بمثل هذه المناهج الكفرية، وإن المستمسك بالعروة الوثقى لا بدَّ أن يكون كافرًا بها معاديًا لها، مظهرًا لأهلها البغض والكراهة والعداوة، فلولا الجنود

(14) الدرر السنية (1/ 506-511).

(15) تفسير ابن كثير (3/ 294).

(16) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (4/ 141) برقم 3360، ومسلم (1/ 114) برقم 124.

وأنصار العلمانية لما بطشت الأنظمة العلمانية والأحزاب بالمسلمين في سائر الأمصار، ولنا في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة.

قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: 4].

قال ابن كثير رحمه الله: "يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم"[17].

وقال جل جلاله: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: 51].

فمن اتخذ النصارى واليهود والمجوس والعلمانيين والليبراليين والديمقراطيين أولياء فيظاهرهم على المسلمين فهو كافر خارج من الملة، قال عز وجل: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾ [آل عمران: 28].

فإنَّ جند العلمانية وأنصارها ما هم إلا حماة لها فحملوا السلاح وكشفوا عن سواعدهم لقتال كل من يفكِّر بشنِّ الهجمات، أو السعي في تغيير العلمنة الفاسد إلى الإسلام الراشد، حالهم كحال المشركين العرب فإذا أظهرت التوحيد في وجوههم تشمئز قلوبهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [الزمر: 45]، وهم يلزمون الناس بالأحكام العلمانية الطاغوتية، وأما من أراد أن يحطم صنم العلمانية كان حاله معهم كحال إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ**

(17) التفسير (4/ 450).

اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 52- 68].

وبهذه الآيات تكمن حقيقة جند الطاغوت وكيف الله تعالى يبيِّن لنا حالهم، وكيف تواصوا جند الطاغوت على تحريق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا في كل زمان، فمن أظهر التوحيد في وجه أهل الكفر والتنديد تواصوا على قتله وتحريقه وتعذيبه؛ إما أن يرجع عن التوحيد أو أن يلقى الله شهيدًا.

فجنود العلمانية هم أوتادها وبهم تقوم العلمانية، فإن الله تعالى لم يفرق بين فرعون وجنده ووزيره، وأن حكمهم وحكم فرعون واحد؛ فقال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6].

وقال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "لأن الطائفة لما كانت ممتنعة يمنع بعضها بعضًا، صارت كالشخص الواحد"[18].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

---

(18) مجموع الفتاوى (14/ 83).

قال الطبري رحمه الله: "يعني تعالى ذكره: الذين صدَّقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به، ﴿يقاتلونَ فِي سبيلِ اللّهِ﴾ يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده. ﴿وَالّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبيلِ الطّاغُوتِ﴾ يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذَّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم، ﴿يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ الّطاغُوتِ﴾ يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله. يقول الله مقوّيا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ، ومحرّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به. ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ الشّيْطَانِ﴾ يعني بذلك: الذين يتولونه ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله والتكذيب به، وينصرونه. ﴿وإنّ كيدَ الشّيْطَانِ كانَ ضعِيفًا﴾ يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به. يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وهن وضعف. وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بالضعف، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية أو حسدا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف"[19].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من حالف شخصًا على أن يوالي من والاه ويُعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان"[20].

فلذا يجب أن نتبرأ من العلمانية وجندها وأن لا تكون بيننا وبينهم مودة ولا توقير، قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

(19) تفسير الطبري= جامع البيان (8/ 547).
(20) مجموع الفتاوى (28/ 20).

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

وقال ﷻ: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾** [الممتحنة: 1].

وإنَّه من السذاجة اليوم أن نعذر الذي يدخل في منظمة علمانية لأجل راتبه الشهري، ولو سألنا العاذر لو أن فلسطينيًّا محتاجًا للمال ودخل في الجيش اليهودي وحمل السلاح ليتقاضى راتبًا شهريًّا فما حكمه فيسبق لسانه ويقول كافر، فلماذا لا تعذره والعلة واحدة؟

ويكفي أنه مطيع لهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال وهذه عبادة صرفت لغير الله تعالى؛ فقد روى الترمذي رحمه الله وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾** [التوبة: 31]، فقال: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[21].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاختيارات: "من حمل إلى معسكر التتر ولحق بهم، ارتد، وحل دمه وماله". وكذلك من التحق بالعلمانية ارتد وحل دمه وماله.

فالإسلام هو الحل الأوحد وفيه الصلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وإن هذه الأرض أرض الله والسماء سماء الله فمن أراد أن يعدل عن تحكيم شريعة رب العالمين فليذهب إلى أرض ليست لله ويقيم عليها ما يشاء وأن يبحث عن سماء ليست لله ليستظل بها.

قال الإمام القيم ابن القيم رحمه الله: "فالشريعة عدل بين عباده، ورحمته بين خلقه وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم الدلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي

(21) سنن الترمذي (5/ 278) برقم 3095، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 116) برقم 20847، المعجم الكبير للطبراني (12/ 7) برقم 13673.

به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها -إلى أن قال- فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"[22].

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطإ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

وكَتَبَه:

أبو جُوَيْرِيَة الشَّامِي

الأربعاء 18 **شعبان** 1437 **هـ** - 25 **مايو** 2016 **م**

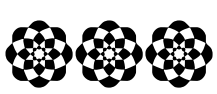

(22) إعلام الموقعين (3/ 13).